عم نـــورا

عدت الى بيتي بعد أسبوع من مكوثي في بيت أخي أسترد فيه عافيتي، لقد نصحني كريم أن أنتقل الى بيت زوجي الراحل لأتحاشى الزوار والمعزين، فرأيت صواب رأيه.. ونقلت نورا الى مدرسة قريبة من المنزل، ولم آخذ معي الاّ حقيبة من الملابس الملائمـة للفصل، حتى أنني لم أرتد السوادوالكتفيت باللون الكحلي والقميص الأبيض للعمـل فـي مكتبي حتى لا أثير شكوك نورا، وانتقلت فريدة معي..

كان كريم قد أخبرني بأن ما بقي من جثمان زوجي وابنه قد نقل في تـابوت الـى موطنه في السعودية كما أخبره أخي هشام على التلفون، وأنه سيرافق الجثمان في الطائرة التي تقلّه الى هناك..

في طريق عودتي بعد الظهر كنت أصطحب نورا من المدرسة في الـسيارة التـي أستلمها ريمون من الشركة باسم نورا، أو بالأحرى باسمي وكيلة عـن نـورا.. كانـت المدرسة يرتادها كثير من أبناء الجاليات الأجنبية، وكانت فيها الدراسة باللغة الإنجليزيـة الى جانب لغة البلد، وفيها قلّة من أبناء مواطني البلاد العربية الذين يعمـل ذويهـم فـي لبنان.. وسرعان ما كونت نورا عددا من الأصدقاء والصديقات عوضوها عـن رفاقهـا القدامى.. بسبب طباعها الدمثة وعدم رغبتها في إغضاب أحد. وأكثر ما لاعمهـا أنهـا وجدت مدرسة للموسيقى تدربها على الكمنجة التي أهداها إياها ريمون وجولييـت قبـل سفرهما..

وكنت بعد أن أعود الى البيت لا أخرج منه أبدا .. وأنشغل بكتابة رسائل ألكترونية لعبد الرحمن، وجهينة فهما الوحيان اللذان بقيت أتواصل معهما بشكل مستمر..

فتحت الباب فإذا بفريدة تنتظرني وتقول:

-عم نورا في غرفة الإستقبال منذ ساعة..

-لتتغذي ونورا قبلي..فهي بحاجة لتستريح وتتدرب على درس الموسيقى..

-أنا الأمير مشغل، شقيق الأمير الراحل رحمه الله..

مددت يدي للسلام عليه فجفل، وذكرت ماقاله عنه أخوه بأنه وهابي متشدد، فجلست قبالته أنتظر ما يقوله.. كان عيبا في حديثه وهو يعزيني ويحمل الي تعازي أفراد عائلته.. قلت له:

-أرجوك لا تذكر شيئا أمام نورا فأنا لم أخبرها.. كانت تحب والدها كثيرا، ولا أريد لها الشعور باليتم في هذه السن..

-أريد أن أراها.

-انها تتناول غذاءها .. ولديها بعد قليل درس في الموسيقى وستأتي معلّمتها لتدريبها..

-وما حاجتها للموسيقى..

-الموسيقى بلسم للقلوب الجريحة!

-مالفائدة من هذا؟

-انها تحبها.. ألديك مانع؟

-طبعا أنا ولي أمرها بعد وفاة والدها.. جئت لأصطحبها معي الى السعودية..

-لماذا تصطحبها معك الى السعودية؟.. أليس لديها أم تربيها ؟ أم تظن أن نساءك الجاهلات أجدر مني بتربيتها!

-في أسرتنا يجب أن تعود الفتاة منذ صغرها على التقاليد الإسلامية والأسرية..

-وما هي تقاليد أسرتك؟

أن تتزوج ضمن أسرتها..

-هل هذا ما تسميه تقاليد إسلامية؟

-نعم، انه من صميم الإسلام، وغلاّ فاب=نها لا ترث أباها..

اسمع انك لا تخاطب امرأة جاهلة ، أنا محامية، وأعرف الشرائع كلها من عهد حمورابي الى حمبه الأديان فيما يختص بالإرث..وحقوق الزوجة والأبناء، والبنات والأعمام.. الى آخر هذه الديباجة من الحقوق والواجبات، فهل جئت تعلمني ما أعلمه، أم لتفرض علي شريعة أسرية هي فوق شريعة القرأن؟

-من حق الأسرة المالكة أن يكون لها شريعة خاصة بها لتحافظ على قوتها وثروتها..

ذكرت حينذاك قصة الأميرة السعودية التي تزوجت ابن سفير لبناني دون موافقة أسرتها، فاعتقلت وهي تجتاز الحدود وأعدمت وإياه.. جن جنوني فقلت له:

-منذ كم من السنين تعرف أسرتك أجدادها، أمن الزمن الذي تسلّل فيه جـدك الـى قصر ابن عجلان وقطع رأسه وجلس على عرشه؟ هذا هو على ما أذكر التاريخ الـذي بدأت فيه الأسرة تشترع لنفسها قوانين المحافظة على ثروتها التي تدفّقت عليها لاحتكارها الثروة النفطية التي هي ملك الأمة العربية بأسرها!..

-لا أعرف ما تقولينه.. هذا هراء، وضلال منافقين وأفّاقين..

-طبعا لا تعرف، ولا تريد أن تعرف حتى لا تخرج من الدائرة الضيقة التي تلقّـن فيها المعرفة تلقينا لا يمس مصالحها.. أما أنا المرأة غير الجديرة بحضانة ابنتهـا فـان نسب أجدادي موثق في شجرة العائلة حتى الإمام جعفر الصادق حفيد الرسـول.. فهـل تجدني دونك لأنني لا أملك ثروتك؟

-كلكن أيتها النسوة تتمنين الزواج بأمير من أجل ثروته، وأنا أعرض عليـك حـلاّ يرضيك ويرضيني..

- ما هو برأيك؟

-أن تتزوجي بي فتنتقلي بدورك الى السعودية مع ابنتك..

ضحكت كثيرا.. وكان ينظر الي بدهشة واستغراب تقارب البلاهة:

-ما أبعد عالمي عن عالمك! أنا تزوجت أخاك، وهو خريج جامعة هارفرد لا مـن أجل ثروته، بل من أجل حلم كبير لا يمكن لك أن تقدره، لأنك تعيش في قوقعة، ومن لم تتسع رؤيته ليدرك العالم الكبير الذي يعيش فيه لا يمكن له أن يفهم عالمه الصغير..

-هل علي أن أعيش في بلاد الكفرة حتى أفهم ما يمليه علي الإسلام؟

-نعم! ان لم تعش فيه بجسدك، فعلى الأقل بثقافتك.. انك تتبنى تـشريعا موسـويا هجره أهله منذ مئات السنين حين كان الرجل يفرض على أرملة أخيه الزواج بـه حتـى تبقى ثروة أخيه في العشيرة.. هل كنت تفعل ذلك لو ترك أخوك من ورثته صبيا لابنتا؟

-البي يصبح رجلا ويبقى اسم العائلة فيه، أما البنت حين تنضج لو تزوجت في غير عشيرتها تصبح ثروتها في العشيرة التي انتمت اليها بالزواج..

-أي أن كل اهتمامك منصب على ثروة أخيك، لا على سعادة ابنة أخيك..

-سعادتها أن تنتمي الى عشيرتها.

-وماذا لو أنقلبها مال لمن هوليس من عشيرتها، أكنتم تفعلون بها ما فعلتم بالأميرة المثقفة التي أحبت ابن سفير لبناني.. فأعدمتموهما معا، واعتبرتم زواجهما المدني لاغيـا ومن قبيل الزنا، لأنه لا ينسجم مع شريعتكم العشائرية؟؟ لو خطر لك أن تأخذ ابنتي مني عنوة، فانني أقيم الدنيا وأقعدها عليكم .. أنا نبيلة عباد ولست امرأة سهلة القياد!!

-سأسافر الى نيويورك، وأجمد ثروة أخي في المصارف، والمحكة وحدها هي التي تفصل بيننا.

-أنا مال الدنيا لا يهمني لقاء حرية ابنتي في أن تختار من تحـب ليكـون شـريك حياتها.. لم يستطع أخوك المثقف أن يفرض علي أمرا لا أريده لنفـسي.. اذهـب الـى نيويورك وتقصى ثروة أخيك.. إنها مجمدة في المصارف لأن هناك حقوقا للناس بمئـات ملايين الدولارات ذهبت في حرق المصرف.. المودعون في لبنان يتهمونـه بـاختلاس أموالهم.. اذهب هناك، وانقذ سمعة أخيك، وارجع الحقوق لأصحابها فيترحم الناس عليه، بدل أن يلعنوه في قبره.. ابحث عن المسؤول عن حرق المصرف، انه نفسه الـذي أودى بحياة أخيك.. كان أخوك رحمه الله شريفا في علاقاته المصرفية، ولقـد اسـتدعى مـن الكويت أخي هشام الذي كان مدير المصرف من قبل، ولديه كل حسابات المصرف قبـل الحريق على الكومبيوتر ليقوم بإنصاف المودعين.. ان من قـام بـالحريق بعـد نهـب المصرف هو نفسه من اغتال الأمير، ولقد قدم للمحاكمة ولكن الأدلّة غيرثابتـة عليـه.. تعرف أيضا الى أنطون بطرس وسأعطيك عنوانه في لبنان كما سأعطيك عنـوان أخـي هشام في نيويورك.. ان أنطون كان مديرا إداريا للمصرف، ولديه معلومات يـستطيع أن يفيدك بها وينير طريقك عمن قام بالحريق ثم بالإغتيال، رغم أن شهادته لـم تقبـل فـي المحكمة..

-أنا لست متفرغا لكل هذا، فلدي أعمالي التي تنتظرني في السعودية! ولا أظـن أن ذهابي الى نيويورك سيكون ضروريا أو يؤثر في سير المحاكمة! المنتفع الوحيد هو أنت!

-أنا لا أسعى إلاّ الى تبرئة ذمة زوجي لأنني وابنتي ندفع الـثمن غاليـا، ونحـن محاطتان بجو مشحون بالعداء والشكوك..

* * *